



الفصل الثلاثون

خيبة أمل

الخامس عشر من تموز عام ٢٠٠٧م



الحزن والغضب هما شعوران من مشاعر كثيرة لازمت تفكير ميسي وكلامه في منتصف شهر حزيران. أمّا مردّ ذلك فبسيط؛ إذ لم يفز برشلونة بأيّ من الألقاب التي وضعها نُصب عينيه. وكان عليهم أن يرضوا بلقب واحد من أصل ثمانية ممكنة، هو كأس السوبر الإسباني فقط. نتيجة مخيبة ولا شك. إنّ الشعور بالسوء حيال الأمر، هو شيء طبيعي بالنسبة إلى شخص لا يفكر إلّا في الفوز، مثل البرغوث. يقول في مقابلة له مع مجلة فرانس فوتبول: «بدأنا الموسم على نحو طيب. ثمّ أقصينا من دوري الأبطال مبكّرًا. عندئذٍ، ظننا أنّ الأمور ستصبح أسهل، فوجدنا أنفسنا خارج كأس الملك. يغدو الأمر مؤلمًا حينما تتضافر تلك العوامل كلّها بعضها مع بعض».

لا يتطرق ميسي إلى الحديث عن الدوري، الذي عدّ أقوى الضربات التي وُجّهت إلى الفريق. كان يبدو أنّ البلاوغرانا قد ضمنوا اللقب منذ شهر شباط، وأنّ الأداء الذي يقدّمه ريال مدريد بقيادة كاييلوما هو إلّا محاولة للإبقاء على الحظوظ، والدفاع عن أنفسهم أمام وسائل الإعلام. لكنّ الحال انقلب؛ إذ خسر البارسا نقاطًا كثيرة في الخطوات الأخيرة من البطولة، خاصة تلك





ميسي

التي خسرها أمام ريال بيتيس وإسبانيول، وأهدت اللقب إلى البلانكوس. لماذا لم يعرض البارسا مكافآت على نادي مايوركا؛ خصم الريال في المباراة الأخيرة التي ستقام في السابع عشر من شهر حزيران المقبل على البرنابيو؟ (يُعدّ تقديم المال للفرق التي تهزم خصمك أمرًا شائعًا في إسبانيا). لا يظن ميسي أنّ في الأمر خطأ إذا كان يساعدهم على الفوز. ولكن، على الرغم من صدق نيات هذا الأرجنتيني وتطلّعاته، فقد بدت المعجزة التي كانت ممكنة في الدقيقة الخامسة والستين بعيدة المنال في النهاية. تتبدّد بذلك الفرصة الأخيرة لإنقاذ الموسم، مخلفة وراءها مزيدًا من الحسرات والندم.

باختصار، لم يَجْرِ أيّ شيء كما كان متوقّعًا، و«بقي البطل من دون جائزة» كما عنونت صحيفة إل بايس. لقد كان فعلاً موسمًا مميّزًا على المستوى الشخصي بالنسبة إلى ميسي؛ فالأرجنتيني أدى دور البطولة المطلقة في كثير من الليالي الساحرة. فقد كان هو مَنْ تسبّب في خيبة أمل مؤقتة لريال مدريد بالهاتريك الذي سجّله في مرمى هذا الأخير. ثمّ جاءت نسخ أهداف قدم مارادونا ويد الرب؛ عجائب وخدع لم ينتج منها شيء. كلّ الأهداف التي سجّلت، إلى جانب جائزة أفضل لاعب أجنبي في الدوري، لا تتعدّى كونها جوائز ترضية.

من حسن الطالع أنّ كرة القدم لا تنتهي؛ إذ تنتظره الآن مشاركة مع المنتخب الوطني في كوبا أمريكا، وهي فرصة قد تكون مناسبة للتعافي من الصدمات التي تعرّض لها توًّا. وإنّ لديه الفرصة ليكون ضمن التشكيلة الأساسية في بطولة مهمة، لا مجرد عنصر من الفريق، كما كان عليه الحال في بطولة كأس العالم بألمانيا.

يضمّمه ألفيو بازيلي الملقّب بـ كوكو إلى الفريق، بعد أن تسلّم دفة قيادة المنتخب خلفًا لخوزيه بكرمان. يعرف بازيلي حقّ المعرفة أنّ بإمكان البرغوث





تقديم الكثير للمنتخب الوطني، وأنه سيؤدي دوراً رئيساً في تنفيذ الخطط المرسومة للفريق. لم يكن يرغب في تكرار الأخطاء التي وقع فيها سلفه.

حرص ألفيو على حضور ميسي المعسكر المزمع إقامته في أوروبا، بمدينة بيرن وبرشلونة، حيث سيواجه الفريق سويسرا والجزائر؛ وذلك بقصد تهيئته للمشاركة في البطولة القارية التي ستقام في فنزويلا، حيث يتوقع العالم بأسره أن يكون لميسي كلمة عليا هناك.

تقدم ليوف في الاستفتاء الذي أجراه الموقع الإلكتروني للبطولة بفارق كبير (33% من الأصوات)، تاركاً خلفه كلاً من التشيلي ماتياس فيرنانديز، والفنزويلي خوان أرانغو. أما لاعب ريال مدريد، البرازيلي روبينيو، الذي سيتوج لاحقاً بلقب أفضل لاعب في البطولة، إلى جانب حصوله على لقب الهذّاف برصيد ستة أهداف، فجاء في مؤخرة الترتيب (8% فقط من الأصوات).

يحتفل ميسي بعيد ميلاده العشرين في الرابع والعشرين من شهر حزيران في مدينة ماراكايبو، قبل أربعة أيام من مباراة المنتخب الأولى أمام منتخب الولايات المتحدة، فأخذت وسائل الإعلام تتزلف إليه لمعرفة أمنيته في هذه المناسبة؛ فتحصل على إجابة متوقعة، هي: «الفوز بلقب كوبا أمريكا، والتتويج بلقب الهذّاف». لم تفز الأرجنتين بالبطولة منذ عام 1993م، وهو أمر زاد من الضغط والتوقعات على نحو هائل.

يتوقع الجميع من ميسي الكثير، لدرجة أنّ المدربّ واللاعبين يصنعون جلبة من حوله، وهو أمر لا يقارن بما كان عليه الوضع في بطولة كأس العالم بألمانيا، حتى إنّ كوكو عيّن له مرشداً، هو خوان سباستيان فيرون الملقّب بالساحر. لعب فيرون هذا، البالغ من العمر (32) عاماً، في نادي بوكا جونيورز، وسامبدوريا، وبارما، وإنتر، ولاتزيو، ومانشستر يونايتد، وتشيلسي، ثم عاد ليحقّق النجاح مع حبه الأول في الأرجنتين؛ إستوديانتس دي لا بلاتا.





ميسي

يقدم فيرون النصيحة لصاحب العشرين عامًا داخل الملعب وخارجه، ويدحض عنه الاتهامات التي توجه إليه بأنه فردي ومتعجرف. ثم يشرح هذا الأمر لصحيفة إل باييس قائلاً: «ميسي متحفّظ. لا يخرج مع مجموعة من الأصدقاء لقضاء الوقت، واحتساء المشروبات، وإنما يفضل لعب (البلاي ستيشن). هو بالنسبة إليّ كالأخ الأصغر الذي يتعيّن عليّ العناية به. عليّ أن أحميه!».

وفي واقع الأمر، فإنّ توفير الحماية لميسي أمر ضروري؛ فحمّى هذا الفتى منتشرة في فنزويلا؛ إذ لا يمكن له أن يخطو خطوة واحدة من دون أن يُحاط بجمع غفير من المعجبين، ناهيك عن أنّ القمصان التي تحمل اسمه تلقى رواجاً كبيراً، بين الكبار والصغار على حدّ سواء. أمّا على أرض الملعب، فإنّه يلقي التحية كلّما لمس الكرة، وحتى عندما يخطئ المرمى. وفي حال لم يكن في التشكيلة الأساسية، كما في مباراة الفريق أمام منتخب الباراغواي، فإنّ الجمهور المنزعج يبدأ المناداة باسمه بعد مُضيّ عشر دقائق من زمن المباراة.

إنّه حبّ أعمى؛ حبّ يصل ذروته في ملعب لارا دي باركويزيميتو؛ ففي أثناء سير ميسي في اتجاه النفق المؤدي إلى غرف تغيير الملابس، يشعر بالتعب والشroud، وفجأة تقع عيناه على فتاة ظهرت من غامض علم الله. ويلاحظ أنّها على وشك إلقاء نفسها من على المدرجات، فيشعر بالقلق حيال ذلك، ملوّحاً، بيديه، وهو يصرخ: «توقفي، ما الذي تفعلينه؟!». تأبى الفتاة العشرينية التي أعماها الحبّ الاستماع إلى صوت المنطق، ثمّ تقفز. ولحسن الطالع، فإنّها تنزل على قدميها. فيهجم عليها رجال الأمن. ولكن، قبل أن يتمكنوا من أخذها بعيداً، تتمكّن من معانقة حبيبها وغمره ببعض القبل. ظهرت على مُحيا ميسي ملامح الحيرة والارتباك من دون شكّ، تماماً مثل حكم المباراة سايمون، الذي أمسك بذراع ميسي وطالبه بتفسير الحادثة، مقتنعاً أنّها كانت هجوماً.





يعترف ميسي بذلك لاحقاً، في حديث لصحيفة كلارين، قائلاً: «لقد كان أمراً لا يصدق. كنت أشير لها كي لا تقفز، لكنّها تجاهلتني وقفزت. أقسم إنني لم أدر ماذا أصنع. لقد قفزت مسافة أربعة أمتار على الأقل. وكان من الممكن أن تُقتل، والأدهى أنّهم أخذوها بعيداً بسرعة من دون التأكد ممّا إذا كانت الفتاة المسكينة على ما يرام أم لا».

وقعت هذه الحادثة في الثامن من شهر تموز، قبيل مباراة ربع النهائي. كانت الأرجنتين قد تغلبت ثوّاً على البيرو بنتيجة (4-0)، مباراة سجّل فيها ميسي في الدقيقة الحادية والستين هدفاً طال انتظاره؛ إذ لم يتمكّن من التسجيل في المباريات التي سبقت أمام منتخب الولايات المتحدة، وكولومبيا، والباراغواي، لكنّه كان حاسماً في تحريك ماكينة الألبيسيلستي وتحويلها. ففي المباراة الافتتاحية التي جمعت الفريق بمنتخب الولايات المتحدة، قدّم ميسي كرة على طبق من ذهب لكريسيو، وتمكّن هذا الأخير من تسجيل الهدف الثاني. وألهب ميسي مشاعر الجماهير في الخمس والعشرين دقيقة التي لعبها في الشوط الثاني من مباراة الفريق أمام الباراغواي (أراد بازيلى إراحته؛ استعداداً لمباراة ربع النهائي)، حين أشعل مباراة كان يغلب عليها طابع الملل. ولكن، حتى ذلك الوقت، فإنّه لم يتمكّن من التسجيل. لذا، فقد أزاح الهدف الذي سجّله في الشباك البيروفية عبئاً ثقيلاً عن كاهله. وفي مباراة نصف النهائي أمام منتخب المكسيك، التي أُقيمت في مدينة بويرتو أورداث، نجح ميسي في استعادة مكانته بتنفيذ تحفة فنية جديدة: تحفة جعلت المعلقين يقولون: «عليهم (أفراد منتخب المكسيك) حزم أمتعتهم، والعودة إلى الديار». أمّا بازيلى فقال: «هذا ما يفعله العباقر». ثم كرّر المعلقون في قناة تايك الرياضية الأرجنتينية الشيء نفسه: «هل نحزم أمتعتنا، ونرحل؟ هل نحن في حاجة إلى المزيد؟ لماذا نستمر بعد أن رأينا هذا الهدف؟». ليس هذا وحسب؛ إذ يقول تيفيز: «ما فعله ميسي كان ضرباً





ميسي

من العبقرية. لم يكن هناك الكثير من الفرص السانحة بالنسبة إليه، لكنّه تمكّن من تحويل أول كرة حصل عليها إلى هدف رائع». في حين قال ماسكيرانو: «إنّها لحظة من لحظات العبقرية التي نتوقّعها منه. لن يفاجئني أيّ شيء يفعله بعد الآن. إنّّه خارق للعادة». أمّا كامبياسو فصرح بأنّه «كان هدفًا مدهشًا». ثمّ أضاف هاينزه: «تعجز الكلمات عن وصف هدف ميسي». وفي واقع الأمر، فقد كان الهدف رائعًا، لدرجة أنّه صُنّف - على شبكة الإنترنت - ضمن قائمة أفضل الأهداف التي سجّلها البرغوث في مسيرته الكروية.

ولكن، ما الذي تمكّن من فعله هذه المرّة؟ لِنُعيد شريط الأحداث: في الدقيقة الستين، مرّر هاينزه، الذي كان قد أحرز هدف التقدّم، الكرة إلى كامبياسو؛ مدافع نادي إنتر الذي كان محاطًا ببعض اللاعبين، ما اضطره إلى إعادة الكرة إلى هاينزه الذي أرسلها من منتصف الملعب، ليتلقّاها تيفيز عند حافة منطقة الجزاء وظهره في اتجاه المرمى. وبعد أن رؤّض الكرة ب صدره وأنزلها على الأرض، التفت مرسلًا الكرة إلى ميسي الذي كان مندفعًا كالسهم. دخل ميسي منطقة الجزاء، ثمّ رفع رأسه ليحدّد موقع الحارس، ثمّ أرسل الكرة في الهواء بمنتهى المهارة والخفّة. كانت كرة مقوّسة بدقة، مرّت من فوق الحارس اليأس سانشيز، الذي قفز إلى الخلف ومدّ جسمه ما استطاع، لكنّه لم يُفلح حتى في لمس الكرة التي التفتت، ثمّ دخلت من تحت العارضة مباشرة. وفي هذه الأثناء، ينظر ليو إلى الكرة حين معانقتها الشباك، ثمّ يركض في اتجاه الراية الركنية، ويحتفل مع الجماهير الأرجنتينية. مرشده فيرون كان أول الواصلين لتهنئته، فيقفز الفتي ويتخلّق برقبة مرشده، ثمّ نشاهد كوكو على دكّة البدلاء، وهو يرفع ذراعيه في الهواء، ثمّ يصفّق، ويضحك فرحًا.

«هل ظننت أنّه يتعيّن عليهم حزم أمتعتهم والعودة إلى الديار بعدما أهديتهم تحفّتك الفنية؟» «لا، توقف عن قول ذلك. لقد كان هدفًا جميلًا، لا أكثر





ولأقل. المهم أنني تمكّنت بتسجيله من مساعدة المنتخب الأرجنتيني على بلوغ المباراة النهائية». كان ذلك جواب ميسي عن سؤال طرحه مندوب صحيفة لا ناسيون في اليوم اللاحق. لكنّ المندوب يحاول إثبات وجهة نظره بسؤال ميسي: «هل تعتقد أنّه أروع هدف في مسيرتك الكروية؟» «ربما، لا أعرف، لقد سجّلت بعض الأهداف الجيدة، مثل هدفي في مرمى فريق خيتافي. في الواقع، أنا لم أشاهده بالتلفاز، لكنّ الجميع قالوا لي: إنّهُ كان جيّدًا جدًّا؛ وإنّك شاهدت الحارس وهو يتقدّم عن مرمّاه، فقامت باستغلال الفرصة. لقد انتهت الأمور على نحوٍ طيب، أليس كذلك؟».

ميسي يتصرف كعادته؛ تواضع لا يتزعزع. ومع ذلك، فإنّه يتمسّك بحقه في تحقيق حلمه المتمثّل في التغلّب على المنتخب البرازيلي في النهائي. كان ميسي قد صرّح منذ بداية البطولة بأنّه يرغب في مواجهة البرازيل، وها هي ذه أمنيته تتحقّق. إنّهُ يريد أن ينسى الهزيمة التي ألحقوها به وبفريقه (0-3) في المباراة التي جرت على ملعب ويمبلي في شهر أيلول المنصرم.

صديقه رونالدينو لن يكون موجودًا، وذلك يّعده ميسي جيّدًا، وإن كاكا غير موجود أيضًا. صحيح أنّ البرازيل خسرت مباراتها الافتتاحية أمام المكسيك، واضطرت إلى الضربات الترجيحية للتغلّب على الأوروغواي في نصف النهائي، لكنّ التغلّب عليها يبقى أمرًا صعبًا. أضف إلى ذلك أنّ المباريات النهائية أمر مختلف؛ فلا أحد يمكنه التنبؤ بما سيحصل في أثنائها. أمر يستحيل واقعًا مؤلّمًا يحطّم الآمال الأرجنتينية بخسارة مدوية (0-3) تسبّب فيها كلّ من: الوحش جوليو بابتيستا، وقائد الألبيسيلستي أيا لا الذي سجّل خطأ في مرمّاه، وداني ألفيش. لقد تمكّنت البرازيل من محاصرة الفريق ذي الفنيات على نحوٍ محكم. ولم تتمكّن الأرجنتين من إحداث أيّ تأثير في المباراة التي أُقيمت على ملعب خوزيه روميرو بمدينة ماراكايبو، حتى خُيّل أنّهم أشباح الفريق الأصلي. ولكن، ماذا عن ميسي؟





ميسي

تقول صحيفة كلارين: «لم يفعل الكثير لتغيير مسار التاريخ. لا حماسة، ولا كرة قدم، فقد فرض عليه أحد اللاعبين البرازيليين رقابة لصيقة وتركه ضائعاً في متاهة». تعبّر الصورة أكثر من حديث المعلقين والنقاد؛ إذ يجلس ميسي على أرضية الملعب، وتعلو وجهه نظرة تائهة. ثم يهزّ طبيب الفريق، دادي، رأسه نحوه قاصداً مواساته. وبعد أن يقدم له رئيس الفيفا جوزيف بلاتر الميدالية، ينزل ميسي عن المنصة، ثم يخلعها، ويحكم قبضته عليها. لقد اختير بوصفه أفضل لاعب صاعد في البطولة. ولكن، ما نفع ذلك؟ فلا شيء يملكه غير الغضب والحزن في خضم خيبة الأمل الجديدة تلك.

